

يائية ابن شُمَيْد الأندلسي وعلاقتها بأبي جعفر اللماثي

مقدم من الباحثة

ناجية ناهي السعيد

درجة الدكتوراه

أنجبت الأندلس الكثير من الشعراء الأفاضل الذين ذاع صيتهم وأشتهر أمرهم وطفقت الدراسات تدور حولهم ، ويعد (ابن شهيد الأندلسي) أحد هؤلاء الشعراء فقد تميز بالبراعة الأدبية ولاسيما أنه قصر وقته وجهده وطفولته وشبابه وشيوخته على الأدب يتزود من معينه ، فطرق قديمه وحديثه ، وشعره ونثره ، وحفظ من ذلك الكثير مما حرك ملكته وأنطق لسانه وأجرى قلمه منذ حداثته ، وجعله أنفذ بصرا في نقد الشعر فسطع نجمه في عصور الأدب الأندلسي .

وابن شهيد شاعر جمع بين السياسة و الأدب ، لانتسابه لعائلة ابن شهيد المعروفة التي كانت من أكبر وأشهر الأسر الأندلسية في عصر سيادة قرطبة حيث شغلت مناصب سياسية زمن الدولة الأموية ، وحظي أبوه بلقب (ذي الوزارتين) في عهد الناصر حيث كان أول من تلقب به ، وفي الوقت ذاته كان ابن شهيد "أرسخ أهل الأندلس قاطبة بالأدب " (١) ، اختلف في نسبه إلا أن الراجح ما أثبتته ابن شهيد نفسه في أبياته التي ذكرها في رسالته التوابع والزوابع عندما قال يفخر بقبيلته أشجع (٢) :

مِنْ شُهَيْدٍ فِي سِرِّهَا ثُمَّ مِنْ أَشْجَعٍ فِي السِّرِّ مِنْ لُبَابِ اللَّبَابِ
خُطْبَاءُ الْأَنْصَارِ إِنْ عَنْ خُطْبٍ وَأَعَارِيْبُ فِي مَثْوٍ عَرَابِ

والمثبت في أخباره أنه أحمد بن عبد الملك، بن أحمد بن عبد الملك، بن عمر بن محمد بن عيسى ابن شهيد، يكنى بأبي عامر ، ولد في دار النعمان القاطنة في حي المغيرة بقرطبة سنة ٣٨٢هـ ، ونشأ وترعرع في كنف العامريين حيث كان أبوه وزيرا للمنصور بن أبي عامر مقربا إليه ، مما جعل ابن شهيد يحتك بالأسرة الحاكمة عن قرب ، فانطبع في ذاكرته الكثير من الذكريات التي جمعتها بأفرادها الذين أظهروا له عناية واهتمام منقطع النظير ، وقد ذكر ابن بسام في ذخيرته الكثير من الحوادث التي تدلل على ما حظي به ابن شهيد من مكانة رفيعة في ظل الدولة العامرية (٣) .

وابن شهيد مع كل ما تميز به من مميزات تفوق بها على أقرانه وخلائه في زمانه إلا أنه لم يحظَ بمثل ما حظي به غيره من الوصول لمنزلة الكتابة في الديوان ، ويرجع ذلك إلى إصابته بالصمم الذي حال بينه وبين استلام هذا المنصب فقد عانى في حياته من الصمم أو الأرجح من ثقل في سمعه. هذا من الناحية الخلقية أما من الناحية الخلقية فقد عُرف ابن شهيد بالإسراف في الكرم ، وكثرة العطاء ، ومساعدة ذوي الحاجة والإغداق عليهم ، وقد أورد ابن نحية لذلك قصة ذكر فيها الرجل الذي قدم من طليطلة إلى قرطبة رث الحال منبت الحبال لا يملك فتيلاً ولا يدرك كثيراً ولا قليلاً فأنزل عياله في أحد الفنادق وخرج يسأل عن حراً يستجديه وفاضلاً يستهديه فأرشد إلى ابن شهيد الذي أحسن استقباله وقدم له من جزيل العطاء ما تعجز الكلمات عن وصفه والمراكب عن حمله (٤). وقد جمع ابن شهيد بين الكرم والجود والرأي السديد كما ذكر ابن بسام نقلاً عن ابن حبان في قوله (وكان مع ذلك من أصح الناس رأياً لمن استشاره ، وأضلهم عنه في ذاته ، وأشدهم جنابة على حاله ونصابه ، وكان له في الكرم والجود انهماك ، مع شرف وبطالة ، حتى شارف على الإملاق) (٥). كما كان ابن شهيد كثير الاعتزاز بنفسه والافتخار بمجد آبائه وأجداده وقد أشار إلى ذلك في نثره (٦) وشعره (٧) ، هذا بالإضافة إلى ميله إلى الفكاهة والهزل ، فقد مزج ابن شهيد بين الجد والهزل وأخذ من كل منهما بنصيب يقول ابن بسام في وصفه في ذلك (إن هزل فسجع الحمام ، وإن جد فزئير الأسد الضرغام) (٨).

إلا أنه كان كثيراً ما يميل إلى اللهو والمجون وقد اتخذ أعدائه من ذلك ذريعة للطعن فيه كما حدث عندما تعرض لهجماتهم عند علي بن حمود في الدواة الحمونية مما أودى به إلى السجن ، وقد كان لحياته المترفة أكبر الأثر في ذلك التي عكست عليه البطالة وكثرة مجالسة الأصدقاء وليلي الأئس والسمر التي جعلته كما قال عنه الحجاري " كَانَ أَلْزَمَ لِلكَأْسِ مِنَ الْأَطْيَارِ بِالْأَغْصَانِ وَلَوَلَعَ بِهَا مِنْ خِيَالِ الْأَصْلِ بِالْهَجْرَانِ " (٩) .

شغل ابن شهيد منصب الوزارة في الدولة العامرية زمن (عبد الملك المظفر) إلا أنه لم يحظَ بلقب الوزير الكاتب لضعف سمعه كما سبق ، كما شغل الوزارة في الدولة الحمودية زمن المعتلي (يحيى بن حمود) ، وفي الدولة الأموية زمن المستظهر (عبد الرحمن بن هشام) الذي تولى الحكم سنة ٤١٤هـ، وزمن المعتمد بالله (هشام بن محمد) الذي بايعه أهل قرطبة عام ٤١٨هـ ، حيث كان على علاقة طيبة معهما وأحد المقربين إليهما ، ومن المصادفة الغريبة أن كل من يحيى بن حمود ، وهشام بن محمد توفي بعد وفاة ابن شهيد بعام واحد أي سنة ٤٢٧هـ .

أما الأدب فهو ميدانه ، وقصيب رهانه ، فقد تميز بالبراعة الأدبية وفاق أقرانه وخلاته في ذلك لما تميز به ابن شهيد من قريحة متقدة جعلته من ذوي المواهب المتعددة ، فكان شاعرا نبغ في الشعر وأبدع فيه من طفولته ولا عجب في ذلك لأن بيت بني شهيد من بيتات الشعر في الأندلس إلا أن ابن شهيد كان أوسعهم شهرة ليس في ميدان الشعر فحسب بل في ميدان النثر أيضا فقد ترك الكثير من الكتب والرسائل التي تتطرق بالفصاحة والبيان وأكد ذلك ابن حيان عندما وصفه بقوله "وإذا تأملته ولسنه ، وكيف يجر في البلاغة رسنه ، قلت تبذ الحميد في أوانه ، والجاحظ في زمانه" (١٠) . كما ذكر ابن دحية في كتابه بعض كتبه حيث قال : "ولهذا الوزير كتب كثيرة الهزل والجد بعيدة عن الحصر والعد منها كتاب التوابع والزوابع ، وكتاب حانوت العطار ، وكتاب كشف الدك ، وإيضاح الشك" (١١) .

وقد أثنى ابن بسام على أدبه وامتدحه قائلا : "نظم كما تنسق الدر على النحور ، ونثر كما خلط المسك بالكافور ، إلى نواذر كأطراف القنا الأملود ، تنشق القلوب قبل الجلود ، وجواب يجري مجرى النفس ، ويسبق رجع الطرف المختلس" (١٢) .

جُمع شعر ابن شهيد في ديوان عندما حظي نتاجه الشعري باهتمام عدد من الباحثين في مقدمتهم أحد المستشرقين وهو (شارل بيلات) الذي قام بجهد جبار حين نبه بجمع أشات آثار ابن شهيد

المتفرقة في كتب الأدب ، فعني بجمع ما وقع عليه من شعره ، وتصحيح ما لحقه من التحريف والتصحيف ، وأخرجه في ديوانه الذي نُشر في عام ١٩٦٣م ، فأصبح شعر ابن شهيد لأول مرة في متناول أيدي الباحثين بعد أن كان مغموراً ردحا من الزمن . تتبع ذلك محاولة الباحث يعقوب زكي الذي أضاف الكثير من القصائد واستترك كثيراً من النقص الذي وقع فيه شارل بيلانت ، ثم خرج الديوان في المحاولة الثالثة على يد الباحث محي الدين ديب تحت عنوان (ديوان ابن شهيد ورسائله) تناول فيه شعر ابن شهيد ونثره مع دراسة وافية لشخصيته .

وفي دراستنا هذه ترتبط شخصية ابن شهيد بشخصية أخرى غدا لا تكون مشهورة كابن شهيد في وصول أخبارها إلينا إلا أنها في مرتبة ابن شهيد منزلة ومكانة في زمانه ، وهي شخصية أبي جعفر اللمائي الذي ذكرت المصادر المختلفة أنه أحمد بن أيوب اللمائي المالقي ، يكنى بأبي جعفر ، من أهل مالقة ، ولم يصلنا عن نشأته ما يمكن أن نستفيد منه في دراسة شخصيته لقلة أخباره ، إلا أن الحميدي أورد له أبياتاً تدل على أنه نزل في صباه في منازل سلمى التي مر بها قائلاً (١٣) :

ألمّا فديتكما نـسـلم
منازل سلمى على ذي سلم

منازل كنت بها نـازلاً
زمان الصبا بين جيد وفم

أما تجدان الثرى عابراً
إذا ما لرياح تنفـسـن ثم

وقد أصيب اللمائي في أواخر حياته بداء النسمة الذي عجز الأطباء عن علاجه حتى أودى بحياته

، وهو يذكر ذلك عندما دخل عليه بعض أصحابه زائراً له في علته هذه وأخذ يروح عليه فقال (١٤) :

روحني عائدي فقلت له
مـة لا ترنني على الذي أجـد

أما ترى النار وهي خامدة
عند هبوب الريح تنقـد

كما أشار إلى سقمه ومرضه في قصيدة طويلة يشكو فيها نوائب الدهر مطلعها (١٥) :

أَمْسَى سَلَامِي زَاجِرِي وَمُؤَنِّي وَعَدَا مَسْشِيِي وَاعْظِي وَمُؤَنِّي

توفي اللمائي في مالقة سنة ٤٦٥ هـ ، ودُفن في حصن الورد - بالقرب من حصن منت ميور -

ملجأه في أوقات شدته وبوصلة مئة ذلك (١٦).

وقد أجمعت المصادر (١٧) على أنه جمع بين منظوم القول ومنثوره . فقد كان أديبا ماهرا ، وشاعرا

جليلا ، وكاتباً نبيلاً يقول عنه ابن بسام : " كان أبو جعفر هذا [وقت] أحد أئمة الكتاب ، وشهب الآداب ،

من سخرت له فنون البيان ، تسخير الجن لسليمان ، وتصرف في محاسن الكلام ، تصرف الرياح بالغمام

" (١٨) . فقد كان كاتباً بارعا وإماما من الأئمة في هذا المجال ، يقول عنه ابن خاقان " إمام من أئمة

الكتابة ومفجر ينبوعها والظاهر على مصنوعها بمطبوعها إذا كتب نثر الثرر في المهارق ونمت فيها

أنفاسه كالمسك في المهارق " (١٩) . وقد أشار ابن بسام في ذخيرته إلى ضياع الكثير من شعره

ونثره (٢٠) ، حيث يبدو أنها فقدت مع ما فقد من تراث الأندلس . إلا أنه أثبت في ذخيرته بعضا مما

توصل له من شعره (٢١) ، ونثره (٢٢) مما يشهد له بالبراعة والإتقان .

هذا وقد أضاف ابن بسام وابن خاقان والمراكشي إلى جانب الأدب الوزارة فقد كان كاتباً لعلي

بن حمود أول الخلفاء الهاشميين بالأندلس مع توليه لأمر الدولة في عهده الذي لم يتجاوز عامين انتقل

فيه الأمر بعد ذلك لأخيه القاسم ومن بعده ، وحظي اللمائي بذلك دسيتا وشهرة وجلالة عظيمة ، وهو

بذلك يلتقي مع ابن شهيد الذي شغل منصب الوزارة لبني حمود فترة من الزمن ، مع ما تمتع به من

براعة أدبية ، فكلاهما وزير وكاتب ذائع الصيت والشهرة .



أما بالنسبة لهذه القصيدة ومناسبتها وهي مناط الدراسة فهي تعد الدائية الوحيدة في ديوان ابن

شهيد ، وإحدى قصائده التي نظمها في أواخر حياته بعد أن أقعده المرض في مستهل ذي القعدة من

عام ٤٢٥ هـ ، وهو المرض الذي ظل يعاني منه ابن شهيد إلى أن وافته المنية يوم الجمعة آخر يوم من جمادي الأولى من عام ٤٢٦ هـ .

كما تعد هذه البائية إحدى السرائر الفردية لابن شهيد التي رثى بها صديقه أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائي المالقي ، ومما يلفت الانتباه أن هذه المراثية قالها ابن شهيد عند سماع خبر وفاة صديقه اللمائي مع أن ابن شهيد توفي عام ٤٢٦ هـ ، واللمائي توفي سنة ٤٦٥ هـ .. فكيف رثاه ؟!

ومن هنا فالأمر لا يخرج عن كونه إما لبسا في هذه الشخصية وابن شهيد يرثي شخصية أخرى ، أو عدم صحة ما وصله من خبر وفاة صديقه ، أو أن ما وصلنا من تاريخ وفاة أحدهما لم يكن صحيحا.

وللتحقق من صحة هذه الشخصية أتطرق لأبرز الشخصيات التي دارت حول اللمائي واتصلت به وكان لها في الوقت ذاته اتصال بابن شهيد ، وفي مقدمة هذه الشخصيات (علي بن حمّود) الملقب بالناصر ومؤسس الدولة الحمودية في الأندلس سنة ٤٠٧ هـ ، وقد سبق ذكره ، فقد عمل اللمائي كاتباً لديه بالإضافة إلى تدبير أمور ملكه ، في حين أن ابن شهيد تعرض لتدخل الحساد وهجماتهم التي أفضت به إلى السجن ، إلا أن حكم علي بن حمّود لم يستمر سوى قرابة عامين حتى قتله صقالبة له في الحمام سنة ٤٠٨ هـ .

وقد استمر اللمائي في الاضطلاع بأعباء الدولة الحمودية ، في حين استقامت أحوال ابن شهيد زمن يحيى بن حمّود الملقب بالمعتلي وتوطدت علاقته به ، ولم ينقطع اتصاله به حتى بعد أن ترك قرطبة إلى مالقة عندما استولى عمه إلخاسم عليها ، مرسلًا له بتصانيد المدح والتهنئة . ويبدو أن اللمائي شغل منصب الوزارة زمن الحموديين فقط ، بينما ابن شهيد شغل منصب الوزارة في الدولة العامرية ، والحمودية ، والأموية كما سبق وأن أشرت .

ومن الشخصيات التي اتصل بها كل من اللمائي وابن شهيد ، الوزير الكاتب أبي جعفر أحمد بن عباس الذي قتله باديس بن حبوس سنة ٤٢٩هـ ، وهذا الوزير مع ما ورد عنه من صفات سيئة تدور حول بخله المنقطع النظير وإعجابه بنفسه الذي جعله ينظر لغيره نظرة التقصيص والتحقير ، وغيرها من الصفات التي فصلها ابن بسام في ذخيرته ^(٢٣) ، إلا أن كل من اللمائي وابن شهيد أختصه برسالة من بعض رسائلهما التي تبرز فيها أثر العناية والجودة ، كان فيها اللمائي مادحاً شاكراً ^(٢٤) ، وابن شهيد معاتباً متبرئاً مما لحقه من خصومه ^(٢٥) .

هذه أبرز الشخصيات المشتركة بينهما التي تؤكد وجود الشخصيتين في زمن واحد، والتي ترجح أن بداية التواصل بين اللمائي وابن شهيد بدأ زمن الحموديين : يعزز ذلك أن ما وصلنا من أخبار ابن شهيد ونشأته المترفة في كنف العامريين التي بدأت زمن المنصور بن أبي عامر ، واستمرت زمن ابنه عبد الملك المظفر الذي بلغ ابن شهيد في عصره رتبة الوزارة ، إلى أن زالت الدولة العامرية بمقتل عبد الرحمن شنجول سنة ٣٩٩هـ ، ثم يرد فيها ذكر لعلاقته باللمائي ، وأخبار اللمائي التي وصلتنا كانت مرتبطة بالدولة الحمودية ، إضافة إلى أن ابن شهيد لم يغادر قرطبة زمن العامريين ، فقد كان ابن شهيد من عشاق قرطبة التي لم ينفارقها حتى في أيام نكبتها معذراً عن دعوة عبد العزيز المؤتمن إلى اللحاق به في بلنسية بعدم قدرته على مفارقة قرطبة لتعلق قلبه بها ، لذا رثاءها رثاء حاراً كان إرهاباً لرثاء المدن في الأندلس ، فقد قضى حياته بين جنباتها إلى أن قضى نحبه ، إلا أنه اضطر إلى مغادرتها من أجلها زمن الحسويين متجهاً إلى مالقة ليلجأ إلى يحيى بن حمود طالبا منه وضع حد للفوضى فيها وذلك بعد أن اعتلى الحكم محمد بن عبد الرحمن الملقب بالمستكفي بعد أن ثار على عبد الرحمن بن هشام الخامس الملقب بالمستظهر ، فبدأ حكمه باستئصال رجال الدولة السابقة ، مما جعل ابن شهيد يتصل بالمعتلي يظلم من بني أمية ثم لحق به في عاتق برفقة كبار الدولة في عهده واستجاب لهم المعتلي ، مما أدى إلى خروج المستكفي ثاراً من قرطبة وبيع أهلها أموياً جديداً هو هشام بن عبد

الرحمن سنة ٤١٨هـ الذي بدأ عهده بتعيين ابن شهيد وابن حزم وزيرين في الدولة ، والحكم بن سعيد حاجبا خاصا به الذي أصبح فيما بعد حاكما لا ابن شهيد .

ومالقة هي مقر اللمائي التي نزل ينحط إليها إلى أن توفي . ربناء على ذلك قد يكون ابن شهيد التقى باللمائي في هذه الفترة خاصة وأن اللمائي أحد الشخصيات البارزة في مالقة التي لا يستبعد التقاؤه بها في حضرة المعتلي ومجده . ومع ما عُرف به ابن شهيد من علاقات طيبة مع أصحابه وخلائه أدى ذلك إلى استمرار التواصل بينهما حتى بعد عودته إلى قرطبة .

وللتأكد أيضا من صحة هذه الشخصية وعلاقتها بابن شهيد أنطرق إلى لقب (اللمائي) ^(٢٦) وهو نسبة إلى لماية وهي إقليم من أقاليم كورة ريه بالأندلس ^(٢٧) ، أو حصن من حصون مالقة كما ذكر ابن سعيد في كتابه المغرب ^(٢٨) ، أنفرد أبو جعفر أحمد بن أيوب بهذا اللقب دون غيره ممن وصلنا ترجمته في القرن الرابع الهجري ، وهذا مما يدل على صحة هذه الشخصية وعلاقتها بابن شهيد خاصة وقد ورد ذكرها في الأبيات بهذا اللقب في قوله :

أَفَدَى اللَّمَّائِيُّ مِنْ أَزْهَارِ فِكْرَتِهِ نَشْرًا فَقَالَ الدُّجَى مَرَّ اللَّمَّائِيُّ

ومما يؤكد علاقة اللمائي بابن شهيد ارتباط ذكره عند بعض المترجمين له كالحميدي - وهو أول من تحدث عنه وأخذ عنه الضبي -- بذنر ابن شهيد له ، الذي لم يذكره إلا من خلال هذه المروية حيث اقتصر ابن شهيد في آخر عمره على القصائد التي تدور حول اللمائي والموت ، ويبدو أن اللمائي ليس صديقه فحسب بل كان من أعز أصدقائه ، يؤكد ذلك تحسره عليه في قوله :

لا عِشْتُ إِنْ
وَمَوْتُنَا وَاحِدٌ لَا شَكَّ مَرِئِي
مِائِي يَا
وَاحِدِي أَبَدًا

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا مَا مَاتَ مَسَاحِبُهُ
أَوْدَى بِهِ الْوَجْدُ وَالْكَسْلُ الطَّبِيعِيُّ

هذا بالنسبة لهذه الشخصية وصحتها ، أما بالنسبة لخبر الوفاة فقد تلقى ابن شهيد خبر وفاة صديقه اللمائي وهو طريح الفراش لإصابته بمرض الفالج في أواخر حياته حيث استمر يصارع المرض قرابة سبعة أشهر أشد عليه المرض أكثر قبل وفاته بعشرين يوماً إلى أن صار حجراً لا يبرح ولا يتقلب ، ولا يحتمل أن يحررك لهضم الأوجاع ، مع شدة ضيق الأنفاس وعدم الصبر حتى هم بقتل نفسه " (٢٩) ، وقد رثى صديقه بهذه القصيدة التي قالها بعد استنار المرض في جسمه وقبل أن تسوء حالته أكثر أشار إلى ذلك في قوله :

فَقُلْتُ وَالسُّقْمُ مَنْشُورٌ يَخُونُ الرَّذَى وَرِدَاءُ
عَلَى جَسَدِي الْغِيْشِ
مَطْطُوعِي

وقد كان خبر الوفاة بمثابة الصدمة التي أذهلت ابن شهيد وجعلته يتأرجح بين التصديق والتكذيب لما سمعه خاصة مع معاناته من ثقل سمعه إلا أنه استسلم لهذا الخبر الذي زاده ألماً على ألمه وهو يصرح بذلك في قوله :

إِنْ مِتَ قَبْلَكَ لَا تَعْجَبْ فَذُو أَمَلٍ قَدْ حُمَّ مِنْ نُونِهِ يَوْمًا حِمَامِي
أَوْ مِتَ قَبْلِي فَمَا مَنَّاكَ لِي عَجَبٌ إِنَّ الْكَرِيمَ إِلَى الْأَصْحَابِ مَنَعِي
زَادَ الْبَلَاءُ عَلَى نَفْسِي فَأَسْأَلُهَا صَبْرِي فَصَبْرِي عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَخَشْيِي

ويبدو أن اللمائي وابن شهيد كانا متقاربين في وفاتهما وفي مرض الوفاة أيضا فقد توفي اللمائي مصابا بداء النسمة الذي فسره ابن جلجل في طبقاته بـ(ضيق النفس) ولم يترك اللمائي طريقاً للعلاج إلا وسلكه ولا باباً لطبيب إلا وطرقه طمعا في الحياة دون جدوى ؛ ومع ذلك كان ابن شهيد أشدّ حالا منه وأكثر مصابا حيث أصيب بالإضافة إلى داء النسمة بالفالج الذي عانى منه واشتدت معاناته حتى همّ بقتل نفسه إلا أنه رجع عن ذلك تائبا (٣٠) .

والمريض في المجتمع الأندلسي يحظى باهتمام المقربين منه لذا يتم تمرّضه في البيت والعناية به ، وتتكفل الأسرة بتقديم الرعاية اللازمة له لما في ذلك من تماسك عائلي قوي عميق للتأصيل في الأندلس يتمشى مع الترابط والتماسك الذي عُرف به أفراد المجتمع ، ولا يُنقل إلى المارستانات منهم إلا الغرباء ومن لا أهل له ، أو من كان مصابا بمرض معدي ، يتطلب عزله في المارستان حتى لا ينتشر مرضه . وابن شهيد في بداية مرضه كان يقوم إلى حاجته اعتمادا على عصا مرة ، واعتمادا على إنسان مرة أخرى مما يدل على أنه كان في بيته وبين أهله وخلانه .

وقد حظيت عيادة المريض في المجتمع الأندلسي باهتمام كبير ، مع تحديد آدابها وتنظيم أوقاتها ، وارتفع شأنها في المجتمع الأندلسي في القرنين الثاني والثالث إلى أن صارت ترفع من شأن من يحافظ عليها ، لذا كان الوزير ابن حزم يعود المرضى جاريا على طريق الصالحين .

وفي مقدمة عائدي المريض أصدقائه وأصحابه ، وقد ذكر كل من اللمائي وابن شهيد الأصحاب في قصائده وعند وفاته ، بل إن ابن شهيد قصر قصائده في آخر حياته بجانب ذكر الموت - على الأصفاء كما سبق أن أشرت ، وبالتالي هم يعدون مصدر رئيسي لأصول الأخبار إلى المريض ومنفذ طبيعي له على العالم الخارجي .

واللماي حسب ما وردنا من أخباره أنه كان على علاقة طيبة بالقاضي محمد بن إسماعيل بن عباد المتوفي سنة ٤٣٣هـ ، وقد ذكر ابن بسام في ذخيرته بعض رسائله إليه ^(٢١) ، كما ذكر المراكشي في الذيل والتكملة شخصية أخرى وهو أبو محمد غانم بن ولبد المخزومي المالقي أحد العلماء المنقرسين والأئمة المجودين جمع بين الفقه والأدب حتى أصبح إماماً لأهل الأندلس في زمانه ، ذكر المراكشي أنه زار اللماي في علقته التي مات منها ، وهذه الشخصية لم تذكر المصادر تاريخ وفاتها ^(٢٢) ، وأعتقد أن هناك الكثير من الأصحاب الذين لم تذكرهم المصادر أو ذكرتهم وفقدت مع ما فقد من أخباره .

إلا أن من الواضح أن أصحاب اللماي من أشرف القوم وسادتهم ومن ذوي الشأن والمكانة الرفيعة في المجتمع مثل أصحاب ابن شهيد وفي مقدمتهم الوزير الكاتب أبو المغيرة بن حزم الذي تربطه بابن شهيد علاقة صداقة متينة فصلها ابن خاقان في كتابه ^(٢٣) ، بالإضافة إلى صلته القوية بابن عمه الوزير الأديب والعالم الفقيه أبي محمد بن حزم الذي كان يقارضه الشعر ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفي الذي زاره في بداية عهده . وصديق آخر اسمه عمرو أشار إليه ابن شهيد في أبياته حين خصه بأزكى السلام ، وغيرهم .

وبالتالي أستبعد أن يكون خبر الوفاة كاذباً ولا سيما أن شخصية اللماي شخصية مشهورة ارتبطت بمجالس الولاة والخلفاء يصعب نشر هذا الخبر عنها ، كذلك ابن شهيد تمتع بشخصية فذة طبقت شهرتها آفاق الأندلس وغيرها ، فكلاهما من كبار رجال الدولة في عصره يصعب نقل الأخبار المزيفة بينهما ، خاصة وأن ابن شهيد وثق هذا الخبر بهذه القصيدة التي ما كان له أن ينظمها لولا تحققه من الخبر ، فابن شهيد بالرغم من مرضه إلا أنه يتمتع بذهن متفتح وقرينة متوقدة وحيوية شعرية غير عادية.

بقي أن نتساءل عن صحة تاريخ الوفاة فيما أن يكون تاريخ وفاة ابن شهيد غير صحيح أو أن تاريخ وفاة اللمائي لم يكن صحيحاً.

بالنسبة لابن شهيد فقد أجمعت المصادر^(٢١) التي ترجمت له أنه توفي عام ٤٢٦هـ ، وذكر الحميدي في جنوة المقتبس وهي أقرب المصادر نؤمن ابن شهيد^(٢٥) أنه تلقى خبر وفاته مشافهة من أحد الأشخاص الذين ربما أدرکوا ابن شهيد أو كان أحد المشيعين له عند وفاته ، وذلك في قوله في ترجمة ابن شهيد : " قال لنا أبو محمد علي بن أحمد أنه مات يوم الجمعة آخر يوم جمادي الأولى ٤٢٦هـ ، وقد دفن يوم السبت ثاني يوم من وفاته في مقبرة أم سلسة وصلى عليه جهور بن محمد بن جهور أبو حزم " ^(٢٦) ، وهذا مما يؤكد صحة تاريخ وفاته .

أما تاريخ وفاة اللمائي فقد ورد عند المراكشي فقط ونقل عنه ابن الخطيب ^(٢٧) ، مما يرجح أن يكون خاطئاً خاصة مع ما سبق ذكره من صحة الفرضيات السابقة ، الأمر الذي يستلزم تحديد تاريخ الوفاة أو على الأقل التاريخ الأقرب لوفاة اللمائي .

فحسب ما ورد في المصادر المختلفة التي ترجمت للماي أو ذكرت هذه الشخصية فإن أغلب المصادر لم تذكر تاريخ الوفاة باستثناء ما ذكره المراكشي في كتابه الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة وما ورد عند ابن الخطيب الذي نقل عنه في الإحاطة وهما كتابان متأخران بينهم وبين زمن اللمائي ما يزيد عن ثلاثمائة عام ، وبالتالي قد يكون اللبس في التاريخ وقع عند المراكشي وتبعه في ذلك ابن الخطيب .

أوقد يكون تاريخ وفاة اللمائي ورد خطأ في ذخيرة ابن بسام في إحدى نسخها التي لم تتفح ، حيث رجح الباحث حسن يوسف أن ابن بسام استصدر نسخة أخرى من ذخيرته تمت بعد عام ٥٢٥هـ أي بعد وفاة التطيلي لأنه ذكر في الكتاب أنه ألفه سنة ٥٠٠هـ . لهذا أورد ترجمة الشاعر أبو جعفر

ملحوظة - قصيدة ابن شهيد (في رثاء الممائي) : (٢٩)

أَمِينُ جَنَابِهِمُ السَّنْفُوحُ الْجَنُوبِيُّ	أُسْرَى فَمَاكَ بِهِ فِي الْغُورِ غَارِي
أَهْدَى إِلَيَّ ظِلَامًا رَدَّاعٍ نَافِجَةٍ	أَنْمَاءٌ شَقَّ بِهَا الدَّمَاءُ هَنْدِي
وَاللَّيْلُ قَدْ قَامَ فِي أَثْوَابِ نَادِيَةٍ	كَأَنَّهُ فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ نُوبِي
وَالنَّجْمُ تَخَسَّبُهُ قَدَامَ تَابِعِيَةٍ	حَمَامَةٌ رَامَهَا فِي الْجَوِّ بَازِي
وَجَنُودُ الْأَفْقِ يَجْرِي فِيهِ مَنَافِسِيَةٍ	مَاءٌ سَقَى زَهْرَةَ الْخَضِرَاءِ فِضِي
فَقُلْتُ وَالسُّقْمُ مَنْشُورٌ عَلَى جَسَدِي	يَخْذُوا الرَّدَى وَرِدَاءَ الْعَيْشِ مَطْوِي
أَهْدَى اللَّمَائِي مِنْ أَرْهَابِ فِكْرَتِهِ	نَشْرًا فَنَقَلَ الدُّجَى مَرَّ اللَّمَائِي
فَقِيلَ مَاتَ فَقَالَ اللَّيْلُ قَارِبًا ذَا	فَانْهَسَلَ بَيْنَ مَقْلَتِي نَوَّةٌ سِمَاكِي

وَبِئْتُ فَرْدًا أَنَا حِي مَقْلَتِي شَغَفًا	كَأَنَّي فِي نُقُوبِ الدَّارِ جَنِي
لَا عِشْتُ إِنْ مِتَّ لِي يَا وَاحِدِي أَبَدًا	وَمَوْتُنَا وَاحِدٌ لَا شَكَّ مَرِي
إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا مَا مَاتَ صَاحِبُهُ	أَوْدَى بِهِ الْوَجْدُ وَالنُّكْلُ الطَّبِيعِي
إِنْ مِتَّ قَبْلَكَ لَا تَعْجَبْ فَنُو أَمَلِ	قَدْ حُمَّ مِنْ تُونِهِ يَوْمًا حِمَامِي
أَوْ مِتَّ قَبْلِي فَمَا مَنَعَكَ لِي عَجَبٌ	إِنَّ الْكَرِيمَ إِلَى الْأَصْحَابِ مَنَعِي
زَادَ الْبَلَاءُ عَلَى نَفْسِي فَأَغْنَمَهَا	صَبْرِي فَصَبْرِي عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَخَشِي
حَتَّى أَهْمَ بَقْلَتِي كُلَّ دَاجِيَةٍ	يَا قَوْمَ هَلْ رَامَ هَذَا قَبْلُ إِنْسِي
إِنِّي إِلَى اللَّهِ مِنْ عُقْبَى بَلِيَّتُهَا	جَرَى بِهَا الْحُكْمُ وَالْأَمْرُ الْإِلَهِي



- (١) المطرب من أشعار أهل المغرب - ص ١٥٨
- (٢) الذخيرة - ٢٠٢/١
- (٣) انظر السابق - ١٥٦/١
- (٤) انظر القصة كاملة في المطرب من أشعار أهل المغرب - ص ١٥٨-١٥٩
- (٥) الذخيرة - ١٥٥/١
- (٦) انظر السابق - ٢٣٠/١
- (٧) انظر السابق - ١٦٥-١٦٦/١
- (٨) السابق - ١٥٥/١
- (٩) المغرب في حلى المغرب - ٨٥/١
- (١٠) الذخيرة - ١٥٥/١
- (١١) المطرب من أشعار أهل المغرب - ص ١٦٠
- (١٢) الذخيرة - ١٥٥/١
- (١٣) جنوة المقتبس - ٣٩٤/١
- (١٤) الذخيرة - ٦٢١/١
- (١٥) السابق - ٦٢٢/١
- (١٦) كما أوصى بكتابة أبيات على قبره - انظر الإحاطة في أخبار غرناطة - ٢٣٥/١
- (١٧) من ذلك مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس - لابن خاقان - تحقيق محمد علي شوابكة - دار عمّار - ص ٢٠٩ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - للشنتري - تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار الثقافة - ج ١/٦١٧ - المغرب في حلى المغرب - لابن سعيد المغربي - تحقيق الدكتور شوقي ضيف - دار المعارف - ج ١/٤٤٦ - الإحاطة في أخبار غرناطة - لابن الخطيب - تحقيق محمد عبد الله عنان - مكتبة الخانجي - ج ١/٢٣٢
- (١٨) الذخيرة - ٦١٧/٢

- (١٩) مطمح الأنفس - ص ٢٠٩
- (٢٠) انظر الذخيرة - ٢ / ٦١٧
- (٢١) انظر السابق - ٢ / ٦١٨
- (٢٢) انظر السابق - ٢ / ٦٢٢
- (٢٣) انظر السابق - ج ١ / ٤٩٤
- (٢٤) انظر الرسالة في مطمح الأنفس - ص ٢١٠ - الذخيرة - ج ١ / ٦١٨
- (٢٥) انظر الرسالة في الذخيرة - ج ١ / ١٧٠.
- (٢٦) رُسمت في الإحاطة (اللماي) والأصح (اللمائي) لاتفاق جميع الروايات عليها .
- (٢٧) انظر الروض المعطار في خبر الأقطار - للحميري - تحقيق د/ إحسان عباس - مؤسسة ناصر للثقافة - ط٢ - ص ٥١١
- (٢٨) انظر المغرب في حلى المغرب - ص ٤٤٦
- (٢٩) الذخيرة - ج ١ / ٣٢٨
- (٣٠) انظر الأبيات التي قالها في ذلك في الديوان - ص ١٢٦
- (٣١) انظر الذخيرة - ج ١ / ٦١٩ - ٦٢٠
- (٣٢) ربما حدث خلط بين هذه الشخصية وشخصية أخرى ذكرها السيوطي في بغية الوعاة ذكر أنها توفيت سنة ٤٧٠هـ - انظر بغية الوعاة - ٢ / ٢٤١
- (٣٣) انظر مطمح الأنفس - ص ٢٠٢
- (٣٤) انظر الذخيرة - ١ / ٢٥٩ - الجذوة - ١ / ١٢٥ - الحلة السبراء - لابن الأبار - تحقيق الدكتور حسين مؤنس - دار المعارف - القاهرة - ط ٢ - ١ / ٢٢٧ - المطرب من أشعار أهل المغرب - لابن دحية - تحقيق أ/ إبراهيم الأبياري - د/ حامد عبد المجيد - د/ أحمد أحمد بدوي - المطبعة الأميرية - القاهرة - ١٩٥٤م - ط ١ - ص ١٦٠ - بغية الملتبس - ص ١٩٢ - معجم الأدباء ١ / ٣٥٨
- (٣٥) بين وفاة ابن شهيد ووفاء الحميدي ما يقارب اثنان وستون عاما فقط.
- (٣٦) جذوة المقتبس - ١ / ١٣٥

- (٣٧) انظر الإحاطة في أخبار غرناطة - ج ٢٣٥/١ - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة - لابن عبد الملك المراكشي - تحقيق محمد بن شريفة - دار الثقافة - بيروت، - ج ١/ ٧٤
- (٣٨) انظر ما ورد في ذلك في كتاب ابن بسام وكتابه الذخيرة - حسن يوسف حسين خريش - دار الفكر للنشر والتوزيع - ص ٤٣؛ وما بعدها
- (٣٩) ديوان ابن شهيد الأندلسي - عني بجمعه شارل بيلات أستاذ بالسربون - دار المكشوف ط١ - بيروت - ص ١٨٥



المصادر والمراجع :

- الإحاطة في أخبار غرناطة - لؤي الوزاريتين لسان الدين بن الخطيب - حققه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان - ط ٢ - مكتبة الخانجي بالقاهرة
- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس - للضبي - دار الكاتب العربي - ١٩٦٧
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - لجلال الدين السيوطي - تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - لبنان / صيدا
- جنوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس - للحميدي - الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة - ١٩٦٦
- الحلة السبراء - لابن الأبار - تحقيق الدكتور حسين مؤنس - دار المعارف - القاهرة - ط ٢
- ديوان ابن شهيد الأندلسي - عني بجمعه شارل بيلات أستاذ بالسريون - دار المكشوف - بيروت - ط ١
- ديوان ابن شهيد ورسائله - جمعه وحققه وشرحه الدكتور محي الدين ديب - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - لابن بسام الشنتريني - تحقيق الدكتور / إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - لبنان
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة - لابن عبد الملك المراكشي - تحقيق محمد بن شريفة - دار الثقافة - بيروت
- الروض المعطار في خبر الأقطار - تاحميري - تحقيق د/ إحسان عباس - مؤسسة ناصر للثقافة - ط ٢
- كتاب ابن بسام وكتابه الذخيرة - حسن يوسف حسين خيريش - دار الفكر للنشر والتوزيع
- المطرب من أشعار أهل المغرب - لابن دحية - تحقيق : الأستاذ إبراهيم الأبياري - د/ حامد عبد المجيد - د/ أحمد أحمد بدوي - راجعه د/ طه حسين - المطبعة الأميرية بالقاهرة - ١٩٩٣
- مطمح الأنس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس - لابن خاقان - تحقيق محمد علي شوابكة - دار عمّار
- معجم الأكبءاء ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب - للحموي - تحقيق - الدكتور إحسان عباس - دار الغرب الإسلامي - الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

- المغرب في حلى المغرب - لابن سعيد المغربي الأندلسي - حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف - دار المعارف بمصر